محـــــــــــاضرة

عـــــن

التعـــليم الاســلامي في منطقــة شينـــــجيانغ

الحــاج محمـد صـــالح

مديرمعـهد العلوم الاسلاميــةفى منطقةشينجيانغ

القاها فى الملتقى الاسلامي للائمة والدعاة المنعقد فى بكين بالصين الشعبية

فى الفترة مابين ١٣ــ١٧ ربيع الاول عــام ١٤٠٨هـ

ممـــممـــممـــمم

بسم الله الرحمن الرحيم

التعـــليم الاســـــلامي وتطـــــوراتــه

فـــــــى

منطقـــة شينجـــيانغ

بقـــــــلم

الحـــاج محمـــد بن صالـــح

مـــدير معهـــد العلوم الاســـــــلامية

فى منطقـــة شينجـــيانغ

* مقـــاطعة شينجيانغ الأيغـــورية المتمتعة بالحكم الذاتى تقع فى شمال الصين الغربى ، اى فى منطة آسيا الوسطى • ويقطنها أبناء قوميات الأيغور والقـــازاق وهـــوى وقيرغيز وتاجيك وأوزبـــــــــ الذين يعتنقون الدين الاسلامي بالاضافة الى ابناء قومية هـــان وغيرها •• وقـــد دخل الدين الاس فى منطقة شينجيانغ حينما وصل قتيبة بن مسلم الباهلى الى كاشغر سنة ٩٦ هـ (٧١٤ م) •

فى ايام الخليفة الوليد بن عبد الملك فى عهد الامويين ، منذ تلك الايام لم يزل ولا يزال يلعب التعـ الاسلامي دوراهـــامّا فى مسيرة انتشار الدين الاسلامي وتطوره فى منطقة شينجيانغ • دخل الدين الاس فى منطقة شينجيانغ سنة ٩٦هـ ومع ذلك كان نفوذه وتأثيره فيها ضعيفا حتى قبل عهد دولة القراخـــانيـ وفى أواخر القرن الثامن الميلادى أسس القراخـــانيون مملكة اسلامية فى منطقة شمال الصين الغربى • ؛ الاميرعبد الكريم خان أول من أسلم من هذه الاسرة الحاكمة • وقد توفي هـــذا الاميرسنة ٣٤٤هـ أو سنة ٥٥ أو سنة ٩٥٦ • ومنذ ذلك الوقت بدأ الدين الاسلامي يعم وينتشر انتشارا واسعا تدريجيا فى منطقة شـ كما شهدت مسيرة انتشار الدين الاسلامي فيها نشوء التعليم الاسلامي الذى كان مركزه (كاشغر) وبنـ فيها المساجد تمشيا مع زيادة عدد المسلمين فى انجاء المنطقة • كانت المساجد اماكن للبحوث ال الاسلامية والتعليم الاسلامي وتربية الطلاب المسلمين • ولعب أبو النصر السامانى ـــ معلّم الاميرعبد ال خان ـــ دور الرائد فى هذا الميدان وساهم فيـــه مساهمات عظيمة • أشرف بنفسه على تربية كثير من ال المسلمين الذين اتقنوا احكام الشريعة الاسلامية ، كما جاء ـــ فى هذه الفترة ـــ السيد جلال الدي البغدادى والسيد حاتم وغيرهما من العلماء المسلمين الى كاشغر ممن ساهموا مساهمة كبيرة على رفع التعلم الاسلامى •

* ازدهر التعليم الاسلامي فى ايام موسى بغراخان بن عبد الكريم فى كاشغر وبلا ساغون . وكان موسى بغراخان مسلما مخلصا واسع المعارف ، يولى التعليم اهتمامه البالغ . وقد اقام المساجد والجوامع الكثيرة ومساكن لاستراحة المسافرين . وأنشأ الكتاتيب والمدارس بهدف تطوير النشاط التعليمي فى المساجد والجوامع واستقدم العلماء والائمة من الجهات المختلفة ، وجاد عليهم بما يستحق مكانتهم العلمية من المكافأة . وتطور التعليم الاسلامي القائم على حلقات الدرس فى المساجد والجوامع . وتشير السجلات التاريخية الى ان نظم المدارس الاسلامية فى الشرق ولا سيما فى آسيا الوسطى يرجع عهده الى القرن العاشر الميلادى . وقد دفعت هذه المدارس الاسلامية الى تطور العلوم الاسلامية حتى بلغت شأوا عاليا . من هذه المدارس المساجية التى تأسست فى كاشغر فى عهد القراخانيين . والمدرسة السعدية التى اقيمت فيها فى عهد جغتخان . وكانت هاتين المدرستين من المعاهد العليا التى تدرس فيها العلوم المختلفة . وتخرج من هذه المدارس كثير من العلماء الاعلام أمثال محمود الكاشغرى الذى وضع ديوان لغات الترك . ويوسف خاصحاجب الفيلسوف المشهور كاتب (الحكمة والسعادة) . والطبيب المشهور عماد الدين الكاشغرى كاتب (شرح القانون) . وسعد الدين الكاشغرى أستاذ عبد الرحمن الجامى وغيرهم من العلماء . كما تلقى فيها حسين خلف الكاشغرى دراسته الاولية ثم سافر الى بغداد لاكمال دراسته ، واصبح اخيرا إماما فى علم الحديث . صنّف مائتي رسالة فى مختلف علوم الاحاديث النبوية الشريفة . وكان محمود الكاشغرى يأخذ عن الحديث . كما أن العالم الكبير المؤرخ أبو الفضل بن محمد جمال قرش الذى ولد فى آلماليق (ايلى ـ حاقضى نصف حياته الاولى سنة ١٢٣١ م فى المدرسة الساجية الاسلامية حيث آلف كتابه (ملحقات الصرا-

* خلال القرن السادس عشر الميلادى انتشر الدين الاسلامي انتشارا واسعا فى منطقة شينجيانغ . ورافق انتشاره تطور التعليم الاسلامي فى كل ارجاء المنطقة حسب الظروف المحلية المختلفة . وكان مراكزه الرئيسية هي كاشغر وختن وآقسو وكوجار وتورفان وغيرها من المدن الهامة . كما ظهرت فى جميع القرى (كتاتيب) يتلقى فيها اولاد المسلمين العلوم . ومن اشهر هذه المدارس فى تلك المدن المدارس الاسلامية الكثيرة . منها على سبيل المثال ، مدرسة خانليق . ومدرسة ساقى . وجامع عيدكاه فى كاشغر . وقد توافد اليها العلماء مختلف البلاد . وكم من عالم كرّس حياته من اجل تلقين العلوم الدينية وترسيخ العقيدة فى قلوب الطلاب الذين تدفّقوا الى هذه المدارس من كل حدب وصوب بحماسة بالغة تلبية لامر الله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وقوله تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلّهم يحذرون) . وكان هؤلاء الطلاب القادمين من مناطق نائية يلاقون صعوبات كثيرة لاتعد ولاتحصى فى طريقهم من والى المدرسة من اجل الدراسة . حيث الدراسة واسعة الاطراف متعددة الجوانب . اذ لم تكن تشتمل على المعارف الدينية فحسب . بل كانت تحتوى على الرياضيات والمنطق وعلوم الفلك والادب والفلسفة اليونانية والطب وغيرها من العلوم الطبيعية والاجتماعية فتخرّجت من هذه المدارس فطاحل العلماء فى العلوم المذكورة . ولم تكن هذه المدارس الاسلامية اماكن لدراسة العلوم الدينية فحسب . بل كانت بمثابة مراكز ثقافية واجتماعية . لذلك لايمكن أن يعدّ التعليم الذى تم فى هذه المدارس الاسلامية فى منطقة شينجيانغ قبل القرن السادس عشر تعليما دينيا فقط

* وفى الآونة الاخيرة ساد التصوف الشيعى منطقة شينجيانغ باسرها واخذت فى نفوس العامة مكانة كبيرة ، فتدهور التعليم الاسلامي تدريجيا وانتهت النشاطات الاكاديمية الى الطريق المسدود .

* أخذ التعليم الاسلامي فى منطقة شينجيانغ خلال فترة تطوره الطويل الامد نظامه المتتابع المتميز بخصائصه الفريدة . بيد ان المواد الدراسية واساليب التدريس كانت مختلفة بين العهود القديمة وبين العهود الحديثة . وهنا نودّ أن نتحدّث عن أحواله العامة فى العهود الاخيرة . اشتمل التعليم الاسلامي على المرحلتين ،الابتدائية والعالية . تبدأ الدراسة فى المرحلة الابتدائية حيث يدرس التلاميذ الحروف الهجائية للغة العربية أولا ، ثم يدرسون القرآن الكريم . يبدؤون بحفظ السور القصيرة منه عن ظهر قلب ،ثم يدرسون الكتب الاسلامية والادبية مثل (صوفى الله يار) و (نامحق) و(بندنامه و(نوائي) و (خوجه حافظ) وغيرها الى هنا تنتهى دراسة المرحلة الاولى . ثم تبدأ دراسة المرحلة الثانية ،ويسمى الذين يدخلون المرحلة الثانية طلاب العلم . وفى هذه المرحلة يدرس الطلاب قواعد اللغة العربية من صرف ونحو ، ثم يدرسون المنطق والبلاغة والتوحيد والفقه والحديث والتفسير والادب العربى وغيرها من العلوم . وتدرس هذه المواد كلها باللغة العربية وبالاضافة الى اللغة العربية كان من الضرورى ان يطالع الطلاب الكتب الادبية والاجتماعية باللغة الفارسية . وعند مايلقى المعلّم المحاضرات الدراسية فى حجرة الدرس أو فى المسجد كان المعلّم يجلس فى وسط الحلقة ويلتفّ الطلاب حوله . ولم يكن الطلاب يتوزعون فى فصول مختلفة حسب اعمارهم أو طبقا لمعارفهم . ولا يوجد نظام امتحان فى المدارس ياتى اليه الطلاب مع حلول موسم الخريف ويدرسون حتى اواخر الشتاء . ومع موسم الصيف تنتهى الدراسة ويتمتّع الطلاب بالاجازة . وعلى هذا فان الطلاب يدرسون ثمانية شهور سنويا . وتتم الدراسة بقراءة الطلاب عبارات من الكتب الدراسية ويشرحها المدرس لهم باللغة المحلية . ولم يكن الطلاب يتدرّبون على الكتابة والحوار باللغة العربية . وكذلك لاتهتم المدارس بدراسة اللغة المحلية ،مما جعل الطلاب يبتعدون عن اللغة الحية التى يستخدمها الشعب . وأصبح للائمة لغة متميزة يستخدمونها فى المساجد ولا يتخرّج الطلاب من المدارس الّا بعد دراسة تستغرق حوالى خمس عشرة أو عشرين سنة أو أكثر . وكانت المواد الدراسية مخطوطات . والعلماء والطلاب ينسخونها ويتعلّمون منها . والمخطوطات منها ماهى رائعة الخطوط ومزخرفة بماء الذهب أو الكتابات الملوّنة . وبقيت تلك المخطوطات محفوظة حتى اليوم (آثارا ثقافية قسّيمة) .

** وبالرغم من أن مدارسنا كانت تتبع اساليب التدريس القديمة والمواد الدراسية غير مناسبة مع مستوياة أعمار الطلاب الّا أنه قد برز علماء اجلّاء من المسلمين فى منطقة شينجيانغ . وأذكر هنا اسماء بعض منهم ممن لهم مساهمات بارزة فى حقل التعليم الاسلامي منهم زين الأئمة الذى صنّف كتاب (النهاية شرح البداية) باللغة العربية . والفقيه الفاضل محمد صادق كاشغرى الذى ألّف كتاب (زبدة السائل وكذلك كتاب (سيرة السادات)باللغة الايغورية . وقد عمّر طويلا حتى عاش ١٣٠ سنة . والمصلح الكبير عبد القادر عبد الباقى (١٨٦٢ ــ ١٩٢٤) الذى صنّف جواهر الايقان ومفتاح الادب ،وبداية الصرف ، وبدر الحساب ،ونصيحة عامة) باللغة العربية ،وكتاب (عقائد ضرورية)و (تجويد تركى باللغة الايغورية وغيرها طبع بعضها فى تاشكند وبعضها الآخر فى كاشغر . والعلامة الاديب حسين

خـــان تجلّى المجلّى المتوفى عام ١٩١٨ م والذى صنّف (برق تجلى سبق مجلّى) باللغتين العربية والفارسـ
و (تحفة البرين) و (أنيس الانسان) و (ديوان عربى) باللغة العربية و (صفدر نامه) و (ديوان فارسى
بالفارسية • والعلامة الشيخ مراد حضرت الذى كتب (تلفيق الاخبار) بالعربية • وترجم كتاب (المكتوبات)
الشهيرة فى التصـــوّف من الفارسية الى العربية • طبع الكتاب فى مصر • ويوسف ماليانخ جيون الذى اشتغ
بتدريس الطلاب فى جامع شنشى بمدينة اورومتشى والذى صنّف (تلخيص التواريخ الاسلامية) و (المضبط
باللغة العربية • وترجم المخمس الى الصينية •• والعالم الكبير شمس الدين الذى ألف كتاب (مهمات الزوجين
باللغة الايغورية متضلعا فى الادب العربى • وكتب اشعارا بليغة وقصائد باللغة العربية • والفاضل الحاج ظ
قارى المتوفى عام ١٩٦٢م الذى فسر القرآن باللغة الازبكية •كان هؤلآء العلماء متبحرين فى الاداب العربيـ
كما أن ظهور هـ .ؤلآء العلماء واعمالهم الجليلة فى سبيل تعميم علوم الدين ونشرها عن طريق المدارس الاسلا
نال نجاحا باهرا وحقق نهضة علمية عظيمة •

* وفى أوائل القرن العشرين طرأت تغيرات جديدة على الموضوعات الدراسية وطرق التعليم فى المـــدا
الاسلامية بمنطقة شينجيانخ حيث ظهرت دفعة جديدة من العلماء المتـأثّرين بالنظريات الجديدة فى طـر
التدريس واصلاح التعليم •• وكان الشيخ عبد القادر هو حامل راية هذه الحركة الاصلاحية التعليمية فى طر
ذهابه الى الحج عـددا من البلدان العربية واجرى التحقيق للتعـليم فى المدارس ، ووقف على احـــوال
التعليم فى بعض دول غرب آسيا وزار كثيرا من المدارس والمعاهد الاسلامية العليا • وعقد اللقاءات مع العلما
المحققين • وبعد أن عاد الى بلاده اشتغل بنفسه فى حركة الاصلاح التعليمى بين عامى ١٩١١م و ١٩١٢
و أســس مع بعض الشخصيات المتنوّرة الجمعية الاسلامية فى كاشغر • وأعد بنفسه الكتب الدراسية باللغـ
العربية والايغورية التى تلائم مستوى الجماهير فى تلك الفترة • وطبعت هذه الكتب فى قازان وكاشغر وتاشـ
ولقيت ترحيبا حارا من قبل جماهير المسلمين • وأقـام فى نفس الوقت مدرسة (مطلع الهداية) فى كاشغر • وطـ
الطرق التربوية الجديدة فى التعليم مما جعل الطلاب يحصلون على معلومات عالية فى مدة قصيرة • كما أيّـ
الحركة التعليمية الجديدة التى ظهرت فى كاشغر فى ذلك الوقت ، وأيّـد أيضا بكل حماسة واخـلاص معـ
دار المدرسين التى تأسست فى آرتوج ، وحضر مع الشيخ ملاّ اسلام والشيخ محمود وغيرهما من الشيوخ الاجـ
حفلة افتـتاح المعهد وقـدّم لها احسن المواد الدراسية الايغورية فى الفترة ما بين عامي ١٩١١ م
و ١٩١٢ م • وقبل ذلك أى فى عام ١٩١٠م كان قـد أسس مع نور حاجى دار النور للنشر •

* ولقد أدرج علم التفسير وعلم الحديث فى الموضوعات الدراسية الرئيسية فى المدارس الاسلامية تحت تأييـ
اكابر العلماء كامثال الشيخ تجلّى حسين خان ، والشيخ عبد القادر ، والشيخ محمود ، والشيخ شمس الـــدـ
والشيخ ظريف قارى حاجى وغيرهم من العلماء الممتازين • أما اللغة العربية والادب العربي اللذان يعتبرا
وسيلة أساسية لدراسة العلوم الاسلاميـة ازدهرا ازدهارا فائقا فى ذلك العهد وكان عصرا ذهبيا بالنسبة لهـ
وقد لعب العلماء الممتازون البارزون فى اوساط الادب العربى دورا هامّـا حيث كتبوا اشعارا بليغة وقصائـ
جميلة فى موضوعات مختلفة • وفى تلك الفترة كان هؤلآء العلماء يشتغلون فى التدريس وتربية الطلاب تربيـة
دينية صحيحة فى المدارس الاسلامية فاشبعوا رغبات الطلاب العلمية • فرآى الطلاب ان يحصلوا على علـوـ

وافرة فى بلادهم من غير أن يكابدوا مشاقّ السفر فى سبيل التحصيل الى اقطار بعيدة مثل بخارى والهند

وقد عبّر العالم الكبير الشيخ شمس الدين عن هذا الرأى فى قصيدة له حيث قال :

بخارى ولاهند بحرضا ولامصر
تعلم فما تلى النفس ولا تطروا
تعلك بسل السيف عزت .
لتحصيل فضل حيثما كنت يا هبر

* فى العهود السابقة كان عدد كبير من طلاب العلم يسافرون الى بخارى لتكميل دراستهم . ولكن فى العصور الاخيرة تخلّفت النشاطات الاكاديمية فى تلك المدارس ، ففقدت بخارى مكانتها البارزة التى كانت عليها فى العصور الوسطى .

فى عام ١٩٣٣م أقيمت هيئة لاصلاح المدارس والمساجد فى كاشغر، أجرت سلسلة من الاصلاحات التعليمية منها قبول الطلاب واختيار المدرسين عن طريق الامتحانات . فقبل ٣٥٥ طالبا فى مدرستي (خانليق) و (وقازان) فى كاشغر. وطبّق فى هاتين المدرستين الاساليب التعليمية الجديدة . حيث كانت تدرّس العلوم الدينية والدروس الثقافية معا . وكان المنهج يشتمل على القرآن والتفسير والحديث والفقه والبلاغه والنحو والصرف . وكذلك على الرياضيات والجيولوجيا والطبيعة وغيرذلك . كما أنشئت فيها مكتبات لمختلف الكتب الدينية والثقافية والعلمية . وقد حققت هاتان المدرستان نجاحا كبيرا وانشأ لهما فروعا فى نينغشيا و جاشى . وكانت الهيئة المذكورة تدير كل المدارس الاسلامية والمساجد وممتلكات فى كاشغر . وكان يتم تعيين الامام فى المسجد بعد اجتيازه الامتحان . كما رتّب للائمة مكافآت شهرية . غير ان هذه الهيئة لم تدم طويلا لانها تعطّلت بعد سنتين من تأسيسها لاسباب اقتصادية وغيرها . فعاد التعليم الى سيرته الاولى فى المدارس الاسلامية .

بعد تأسيس الصين الجديدة ١٩٤٩م طبّقت الحكومة الشعبية سياسة حرية الاعتقاد الدينى ونصّتها فى دستور الدولة . فوجدت الحياة الدينية ضمانا قانونيا لمسلمى منطقة شينجانغ. رممة الحكومة بعض الجوامع المشهورة والمدارس ومساكن الطلاب . ولكن التعليم الدينى بقي على حاله السابق فى المساجد

فى عام ١٩٥٥م أسست الجمعية الاسلامية الصينية معهد العلوم الاسلامية فى بكين فانتدب اليها خمسة وثلاثون طالبا من منطقة شينجيانغ وانهى هؤلاء الطلاب دراستهم فى مدة خمس سنوات. كما فتحت صفا للبحث الدينى فى هذا المعهد عام ١٩٦١م . ومدة الدراسة فيه اربع سنوات . ودرس فيه عشرة اشخاص من علماء شينجيانغ .

أما فى فترة الثورة الثقافية التى دامت عشرة اعوام ١٩٦٦م / ١٩٧٦م فقد تعطّلت كل النشاطات الدينية ولم ترجع الى طبيعتها الا بعد عام ١٩٧٦م . ويتم الان اعداد عدد كبير من الائمة الذين يقومون بدور هام فى النشاطات الدينية فى منطقة شينجيانغ . كما ارسلت المنطقة عددا من الطلاب الى باكستان ومصر وليبيا لاجل التحصيل العلمى الاسلامي . وبهدف رفع مستوى الائمة أقيمت دورات دراسية محدودة

يتلقى فيها الدارسون تفسير القرآن الكريم الحديث النبوى الفقه التوحيد ويتم شرح هذه المواد باللغة الايغورية • وقد أدّت هذه الدورات الدراسية عملا لايستهان به على رفع مستوى الائمة فى العلوم الدينية • وفى صيف العام الماضى أفتتح معهد العلوم الاسلامية فى شينجيانغ وبدأ التدريس فيه ويعتبر هذا حدثا عظيما فى حياة المسلمين لكونه مدرسة اسلامية عليا فى منطقة شينجيانغ يتولى تربية الموءهلين من ذوى العلوم الاسلامية والثقافات الحديثة المتنوعة والاخلاق الحميدة •كما أقيم فى هذا المعهد أول دورة تدريبية للائمة فى شهر يونيو الماضى دامت الدراسة فيها خمسة أشهر• وقد قبل فى الصف الاول للمعهد (٤٦) طالبا وسيبلغ عدد الطلاب مائة وستين فى العام القادم• يحتوى منهج المعهد الدراسي على القرآن الكريم والتفسير والتوحيد والحديث والفقه والبلاغة واللغة العربية • كما سيستفيد المعهد فى اقامة الدورات التدريبية • حيث يدرس فى الدورة الحالية (٢٠٠) من الائمة ، ومن المأمول اعداد (١٠٠٠) امام فى السنوات الخمس القادمة •

ينتشر بين المسلمين فى منطقة شينجيانغ القرآن الكريم وتفسير الجلالين و (اللؤلؤ والمرجان) ـ وشرح الوقاية وعقائد النفسى وغيرها من الكتب الاسلامية التى طبعتها الجمعية الاسلامية الصينية • كما ترجم الى اللغة الأيغورية معانى القرآن الكريم وجواهر البخارى ونور اليقين ضمن خطة وضعتها الجمعية الاسلامية لمنطقة شينجيانغ فى ترجمة ونشر الكتب الاسلامية • وسوف يتقدّم التعليم الاسلامي فى منطقة شينجيانغ بعناية حكومة الصين للاتجاه الصحيح ، ويحقق نجاحا باهرا انشاء الله تعالى •